الانسجام النصي في القرآن الكريم

الدكتور: بوزينة محمد جيلالي

جامعة الشلف ـ الجزائر

حظي البحث في سرّ الانسجام النصّي في القرآن الكريم باهتمام بالغ من العلماء قديما وحديثا، ومن أوائل من بحث فيه عبد القاهر الجرجاني في كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" والباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" والسيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" وبرهان الدين البقاعي في كتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". وموضوع الانسجام ليس بجديد لأنّ القرآن الكريم سرّ من أسرار الكون لا يزال البحث والغوص في أفانينه، واكتشاف مواطن الإعجاز فيه باق على وجه الأرض وفي كلّ عصر ومصر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، بل إن التنقيب عمّن بحثوا فيه لايزال يفتح أبوابا وآفاقا معرفية واسعة. فالقرآن الكريم مكمن كمال اللغة وعظمتها، يجري على نسق عجيب فريد، يجد السامع له منجذبا كلّيا إليه وبكلّ ما فيه دون أن يدرك سببا يفسّر هذا الانجذاب، وهذا لا شكّ هو الإعجاز الذي سحر السمع والبصر واقتحم على المعاندين المكابرين من أمثال الوليد ابن المغيرة القائل عنه: "إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة وإنّ أعلاه لمثمر وإنّ أسفله لمغدق وإنّه يعلو ولا يعلى عليه" وبهذا لخّص سر الانسجام في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الانسجام، الإعجاز، المقصدية، السياق، التماسك، الاتساق.

Abstract

Particular importance has been devoted to the study of the mystery of the holy Quran textual coherence by scholars, formerly and now, and among the first in the matter: Abdelkader Djurjani in his two works *"the signs of the miracle"* and *"the mysteries of rhetoric "* and Elbakillian in his work" the miracle of the Qur'an and Esseyouti in his work "*Perfection in the Sciences of the Koran*" and Borhan Eddine El Bikaai in his work "*The Elaboration of Pearls in the Correspondence of Verses and Surats*". The theme of coherence is hardly new because the holy Qur'an is a mystery among all the mysteries of the universe knowing that the study and the deepening in its secrets and the discovery of its eloquence will be perpetual in time and the places to the end of the world, even exploring what have been studying there does not cease to open windows and vast scientific horizons. It is in the holy Qur'an where the perfection of the tongue and its grace lies, it runs on an impressive and incomparable system in the listener, complementing it and deeply realizing the cause of this attachment. - no doubt-the miracle that charmed hearing, sight and predominated the stubborn followers such as Walid ibn Elmoughira who quoted: "It has a sweetness, and a softness, it is enveloped in flexibility, its top is fruitful, its bottom is appealing, and it rises and nothing rises over it " Thus, he summed up the mystery of harmony/coherence in the holy Qur'an.

Keywords: Textual coherence, eloquence, scientific horizons.

مفهوم الانسجام: يرتبط الانسجام في مفهومه بكلّ العناصر التي تؤدّي إلى تحقيق الانسجام في النص، وبكلّ العناصر التي تعمل على إيجاد التشاكل الدلالي في إطار المعنى وما وراء المعنى؛ أي: كلّ المؤثرات الدلالية. وقد ورد الانسجام في لسان العرب بالمعاني التالية: سجمت العين الدمع، والسحابة الماء، سجمه وتسجمه سجما وسجوما وسجاما، وهو قران الدمع وسيلانه قليلا كان أو كثيرا، وانسجم الماء والدمع فهو منسجم إذا انسجم والانسجام الانصباب[1]. وتلتقي هذه الدلالة اللغوية بالدلالة الاصطلاحية له أي: انصباب الكلمات والجمل في تتابعها لذلك وجدنا السيوطي يقول: "**أن يكون الكلام بخلوّه من الانعقاد منحدرا كتحدّر الماء المنسجم..** "[2].

ونجد الانسجام أعم من الاتساق عند محمد خطابي الذي يقول: "**يترتب على السالف ذكره أنّ الانسجام أعمّ من الاتساق كما أنّه يغدو أعمق منه بحيث يتطلّب بناء الانسجام من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولّده بمعنى تجاوز رصد المتحقّق فعلا (أو غير المتحقق) أي الاتساق، إلى الكامن (الانسجام)**"[3]، فالانسجام معطى نصي يتحكّم في اكتماله النص من خلال العناصر الانسجامية المجدّدة عند أصحاب الدراسات النصية (التماسك النحوي، السياق، المقصدية..) أي المرجعيات المنطقية، السببية، العموم، الخصوص، الغرضية، إذ أن التماسك وإن كان يسهم في بناء النص كوحدة كبرى إلاّ أنّها تعمل في إطار الانسجام، ولا دور لها من دونه خاصة مع نص معناه ضمن معنى آخر أي مبطّن.

وقد عولجت قضية الانسجام في معرض الدفاع عن إعجاز القرآن الكريم والتعليل له في الدراسات القرآنية، وفيما تمخّض عنها من دراسات لغوية نقدية وأدبية وتفاسير على مستوى البناء الدلالي والبناء التركيبي وما بينها من تناسب يحقّق الانسجام... فألّف أبو الحسن الرماني كتابه "النكت في إعجاز القرآن" بعد أن راعته بلاغة القرآن الكريم وألّف الجرجاني كتابيه الدلائل والأسرار...

والقرآن الكريم هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم والنور المبين، لا تزيغ فيه الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة السرد، ولا تنقضي عجائبه؛ فهو روح من أمر الله لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾(النساء: 174)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(الأنعام: 149)، وقد أمرنا الله عزّ وجلّ أن نقرأ القرآن الكريم ونتدبّره ونتعلّمه لقوله تعالى: "﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾(القمر: 17)، وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ

أَقْفَالُهَا﴾(محمد:24)، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: 82)، وقوله تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: 44)، وقد حثّ النبيّ (ص) على قراءة القرآن الكريم وتعلّمه وتعاهده والتغنّي به، ومن جملة ما قال في ذلك: إقرؤوا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعا لقارئه.. خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه.. تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشدّ تفلّتا من الإبل في عقالها.. ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن.. "[4].

وقد كتب العلماء عن إعجاز القرآن الكريم ووجوهه العديد من المؤلفات منها:

- **رسالة النكت في إعجاز القرآن للرماني(386هـ)**
- **بيان إعجاز القرآن للخطابي(388هـ)**
- **إعجاز القرآن للباقلاني(403هـ)**
- **إعجاز القرآن للقاضي عبد الجبّار(415هـ)**
- **الرسالة الشافية في إعجاز القرآن ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني(471هـ)**
- **البرهان في علوم القرآن للزركشي(794هـ)**
- **ومنهم من تحدّث عن إعجازه دون أن يفرد له كتبا معنونة بالإعجاز مثل الجاحظ(255هـ) في كتابه البيان والتبيين وكتابه المفقود نظم القرآن.**

ولا تنحصر وجوه الإعجاز في ما ذكره العلماء، بل إنّ ألإعجاز يتجاوز هذه الوجوه وتنكشف على أيدي العلماء وجوه جديدة، وستظل وجوهه تظهر وتزداد ما دامت هناك عقول تنظر وتتدبّر القرآن وقد ذكر الزركشي رحمه الله في كتابه البرهان أحد عشر وجها في إعجاز القرآن ثمّ قال: "**الثاني عشر وهو قول أهل التحقيق: أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكلّ واحد على انفراده، فإنّه جمع ذلك كلّه فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك ممّا لم يسبق**"[5].

ومن أهم الوجوه التي يرجع إليها إعجاز القرآن هي **نظمه** العجيب البديع الذي لا يستطيعه أحد من البشر وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني: "**أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في بيان لفظه وبدائع راعتهم من مبادي آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كلّ مثل وساق كلّ خبر وصورة كلّ عظة وتنبيه، وإعلام وتذكير وترغيب وترهيب، ومع كلّ حجّة وبرهان، وصفة وبيان، وبهرهم أنّهم تأمّلوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجمع كلّه كلمة ينبو بها مكانها ولفظة ينكر شأنها أو يرى أنّ غيرها أصلح هنا أو أشبه أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول**

وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما وإتقانا وإحكاما، لم يدع في نفس بليغ منهم ولو حكّ بيافوخه السماء موضع طمع حتّى خرست الألسن أن تدّعي وتقول وحذيت القروم[6] فلم تملك أن تصول"[7].

استنطاق علماء البلاغة للنص القرآني: يعدّ الخطاب القرآني بما يتوفّر عليه من مستويات إعجازية المنطلق الأساسي والفعلي لميلاد التراث الأدبي العربي بشتّى تجلّياته اللغوية والأدبية والبلاغية والنقدية، ينهج على منهج محروس معجزة بيانية، لا تدرك مقاصدها وأبعادها إلاّ بمعرفة أسرار الأداء البياني فيها ومن ثمّ كان القول بالإعجاز.

وقد احتلّ النص القرآني القيمة الفنّية الأولى في اللغة العربية، فظلّت قضية الإعجاز تقوم في جوهرها على تمثّل المناحي الجمالية في ذلك النص المعجز؛ لأنّ بلاغة التعبير في الخطاب القرآني لا تدرك إلاّ بمعرفة لغة القرآن وطرائقه في الأداء البياني.

كما اهتم علماء العربية بجماليات النص القرآني فتتبعوا أسرار البلاغة وكشفوا عمّا يتميّز به أسلوبه من ثراء وخصوبة في مناحي القول، ممّا جعل منه منبعا متجدّدا ينفذ إلى أعماق النفس، وقد جمع القرآن الكريم في أسلوبه ضروب البيان، وكان من الحوافز التي شجّعت علماء اللغة والأدب ووجّهت أنظارهم إلى فنون الأسلوب سواء كان ذلك في القرآن أو الشعر أو النثر، إذ انبثق نور هذه الجهود اللغوية والأدبية كلّها من الذكر الحكيم.

واتجه نفر من علماء العربية إلى التأليف في بيان القرآن واجتهدوا في استجلاء مظاهر الإعجاز والفنية فيه على أساس من بيان أسلوبه وطرق تعابيره المختلفة، وكانت أغلب هذه الدراسات ترتكز على حقيقة الإعجاز ونظمه، فقد نزل القرآن في أسلوب لا يضارعه أسلوب، فلا هو شعر ولا هو سجع ولا هو مزاوجة، ولا هو نثر مرسل ولا خطابة، إنّما هو نظم رائع وألفاظ عذبة ومعان سامية، وجلال روعة، جمع بلاغة جميع أساليب البيان، وفصاحة شتّى خصائص النظم واستوفى كلّ عناصر الإعجاز [8].

وقد أضفى القرآن الكريم بأساليبه وفنونه في التعبير عذوبة وتجديدا في البيان وتطوّرا في الدلالة، ودفع بالبلاغة العربية إلى عوالم جديدة، وفضاءات أرحب، فحدث توسع كبير، في دلالات الألفاظ والمعاني عن طريق المجاز وفنونه، ولمّا كان التشكيل البلاغي، لا يحيا إلا في إطار النص بما توفّره الألفاظ والمعاني من ظلال ومعان وارفة وصور جميلة، فقد هيّأ النص القرآني لهذا التشكيل البلاغي جمال المفردة من حيث وقعها في السمع، واتساقها الكامل مع المعنى، واتساع دلالاتها لما لا تتسع له عادة دلالات المفردات الأخرى، وهو ما يقول به الخطابي: **"واعلم أنّ القرآن الكريم إنّما صار معجزا لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، متضمّنا أفصح المعاني"**[9].

ومن هذا يمكن أن نستخلص أنّ التماسك أو الاتساق مفهوم يعنى بخصائص الربط بين الجمل والعبارات لتأليف بنية نصّية متماسكة مترابطة تقوم على الإحالة والتكرار والربط بحروف العطف والفصل والوصل. أمّا الانسجام، فيدخل فيه الترابط الموضوعي للنص، أي اشتماله على سيرورة واستمرارية، وتطوّر باتجاه مقصدية متجدّدة تضمن له التدرّج والانتقال المسوّغ في إطار السياق القرآني الذي يدلّ على المعنى من نفس الآية، ويدلّ على المعنى من خلال الآيات.

والاتساق والانسجام من أهمّ المسائل التي تطرحها لسانيات ما بعد الجملة، ومن أهمّ القضايا التي لقيت اهتماما كبيرا من علماء العرب والمسلمين في دراستهم للنص القرآني أو للنصوص الأدبية. واحتلّ موضوع الدراسات النصية موضعا مركزيا في الدراسات اللغوية المعاصرة انطلاقا من أنّ لسانيات النص مدخل مهمّ للانسجام. وقد تميّز هذا العلم بحداثته وتنوع موضوعاته، فتعدّدت المدارس اللسانية النصية وظهرت العديد من المصطلحات الخاصة به ومن أهمّ المفاهيم التي عنيت بها لسانيات النص مفهوما "الاتساق" و"الانسجام" اللذان يحتلان موقعا مركزيا في الأبحاث والدراسات التي تندرج في مجال هذا العلم.

ويتعلّق النص بشكل أساسي بفكرة النظم التي هي علّة مستوى البناء التركيبي والبناء الدلالي، فقد فرّق الجرجاني بين النظم والترتيب والبناء والتعليق فجعل النظم للمعاني في النفس، أمّا البناء فهو البنية السطحية الحاصلة بعد الترتيب بواسطة الكلمات أمّا التعليق فهو الجانب الدلالي من هذه الكلمات في السياق(10).

وأمّا النظم فهو من ترتّب المعاني في نفس الناظم ولذلك الأساليب واحدة والنظام متغيّر مختلف في البناء والتركيب والاختيار والتعليق، يقول الجرجاني: "**لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس ثمّ النطق بالألفاظ إلى حذوها لكان ينبغي أن لا يخالف حال اثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه لأنهما يحسنان بتوالي الألفاظ في النطق إحسانا واحدا، ولا يعرف في ذلك شيء يجهله الآخر**"(11).

لقد كان البناء والتناسق دلالة وتركيبا أساسيا في نظرية النظم عند الجرجاني: "**فالألفاظ لا تفيد حتى تؤلّف ضربا خاصا من التأليف ويعمد بها إلى وجه من التركيب والترتيب**" (12)، ويقول الجرجاني في نظريته عن تكوين النص الذي يكون النحو فيه بنية كلامية أو نصوصية: " **اعلم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها**"(13)، فالعلاقات النحوية تلعب الدور الهام في تحديد المعنى، لأنّ المعنى يحتمل تراكيب نحوية عديدة، لكن المزية في الأرقى بيانا، خاصة على مستوى الصورة التي يحدّدها التركيب، وفق التماسك البنائي بينهما

على مستوى الصورة التي سيؤدّى المعنى المترتّب في النفس من خلالها، فالمبدع سيختار التركيب الأنسب الذي يتشاكل مع ما في النفس.

وقد خرج الجرجاني من القواعد المعيارية الثابتة تنظيرا إلى معاني النحو التي يخضع فيها التركيب إلى التبديل وفق أصول النحو خاضعا للمقام أو السياق، وتخضع عوامل الربط بين الجمل إلى السياق أو الموضوع، يقول الجرجاني: "**واعلم أن ليست المزية واجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي أعلى على الإطلاق ولكن تعرض بسبب من المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ثمّ يحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها من بعض، فالتنكير لا يروق في كلّ مقام والتقديم لا يروم في كلّ مقام، وليس من فضل أو مزية لشيء من ذلك إلاّ بحسب الموضع وبحسب المعنى**"[14]، ويفهم من هذا القول أنّ العلاقات القائمة بين الجمل هي علاقات وليدة السياق والمعنى وكأنّه يؤكّد على أن الأدوات تستمدّ وظيفتها في الربط من مضمون الخطاب، والكلام المبين عند الجرجاني لا ترسل فيه الجمل إرسالا من غير قواعد تجعل المتقدّم منها مرتبطا بسبب من المتأخّر كما هو الحال في الفصل والوصل.

أما التقديم والتأخير الذي يعتمد على تغيير الرتبة فيعدّ أحد عوامل الربط عنده فإذا قدّم الظرف ثمّ أُخّر العامل فيه وهو الفعل، فذلك يجعل من الكلام المتقدّم أو المتأخّر قطعة متماسكة من القول تقوم على الإفادة من ذاكرة المتلقي، الذي يختزن ثمّ يسترجع رابطا بين المعمول وهو الظرف والعامل فيه وهو الفعل.

التناسب: يضطلع بالبحث في الانسجام علم التناسب أو علم المناسبة الذي يكشف عن العلاقات اللغوية في القرآن. ومن أهمّ المؤلفات فيه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" لبرهان الدين البقاعي، و"البرهان في ترتيب سور القرآن " للزبير الغرناطي 807هـ، و"البرهان في علوم القرآن"، للزركشي، و"مراصد المطالع في تناسب المقاصد والمطالع" و"أسرار التنزيل" للسيوطي؛ وقد عدّ هذا العلم وجها من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، فقد جعل السيوطي المناسبة بين الآيات والسور وارتباط بعضها ببعض متسقة منتظمة وجها من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم [15]، ويقول البقاعي عن التناسب: "**بهذا العلم يرسّخ الإيمان في القلب ويتمكّن من اللب وذلك أنّه يكشف للإعجاز طريقين: نظم كلّ جملة على حيالها، بحسب التركيب، ونظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب**"[16]، فقد قال في مقدمة كتابه بأنّه يبحث في العلاقات والروابط بين الآيات والسور، تلك العلاقات النصية التي ترتبط بعالم النص آنا وبسطحه وبنيته اللغوية آنا آخر، فالتناسب بين الآيات والسور هو في حقيقته بحث عن التتابع والتماسك، بحث عن النظم، ولكن في حدود أكبر من الجملة، فالقرآن الكريم معجز بالأساس في نظمه كلّ دال فيه منسجم مع ما يجاوره بما يفضي إليه تناسب كلّ آية في ذاتها وفي علاقتها

بغيرها من الآيات وما يؤدّي إلى ذلك من تناسب كلّ سورة في ذاتها أوّلا وفي موقعها الذي حدّدته علاقتها بالسورة التي تسبقها والتي تعقبها ثانيا [17].

وقد اجتهد المفسّرون في البحث عن العلاقات التي تحقّق التناسب أو بالأحرى تؤكّده بين الآيات والسور، وهي كما يقول السيوطي أنها في مجملها ترجع إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي، أو خيالي وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلّة والمعلول والنظيرين والضدّين أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر[18].

ويكشف نصّ البقاعي السابق عن النظرة الكلّية للنص كما هي في الدراسات النصية المعاصرة: " **تعرف علل الترتيب وثمرته الاطّلاع على الرتبة التي يستحقّها الجزء بسبب ما له بما ورائه وما أمامه من الارتباط والتعلّق الذي هو لحمة التناسب والانسجام، فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سرّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال**"[19].

فالبحث في المناسبة إذن بحث في أشكال العلاقات الرابطة بين الكلمات والآيات والسور القرآنية كأنّها وحدة لا انقطاع فيها ولا انفصال، ورغم تعدّد الموضوعات، في تناسب لا خلل فيه ولا زلل، يتم المعنى بدقّة جمالية متناهية ولا متناهية على مراحل لا يفقد فيها المقصود في كلّ مرحلة، ولا يفقد خيطه ولا روحه في أرقى المستويات ولا يدرك ذلك إلاّ بطول تأمّل وإعمال فكر وعمق نظر من أصحاب العقول النيّرة الذين كشفوا لنا عنا عن بعض جوانب هذا العلم.

قواعد الانسجام في النص القرآني: ينهض انسجام النص القرآني على مجموعة من العلاقات "**ووجود هذه العلاقات داخل النص تيسّر فهمه فهما منطقيا**"[20]، وجمال النص القرآني وانسجامه وتناسقه البديع لا ينحصر في كونه أجزاء متفرّقة، وإن كان للأجزاء جمال، إنّما يتجلّى هذا الجمال والجلال أظهر وأبين وأوكد في كونه كلاّ واحدا أو جملة موحّدة تقوم على قاعدة من التناسق البديع المتقن، المصمم وفق النسق القرآني الذي هو منبع التأثير والسحر؛ فالنص القرآني يتميّز بخصوصيات تجعله يتفرّد عن مألوف الإبداع البشري، لذلك حكى لنا القرآن الكريم على لسان الكفار: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾(فصلت: 26)، فقد كشفت هذه الآية عن الذعر الذي أصاب نفوس الكفار، فأسرعوا إلى تحذير قومهم عندما أحسّوا في أعماقهم روعةً شدّتهم شدّا عنيفا، فقالوا في استعلاء فيه كثير من الغلبة والظهور وهم يخفون العجز: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾(الأنفال: 31)، وقالوا أيضا: ﴿**بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ**

شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾(الأنبياء: 5)، فالتناسق البديع هو أحد أهمّ قواعد الانسجام في النص القرآني وهو الذي جعله يتميّز بهذه الفرادة.

إنّ النص القرآني من هذا المنظور يتجلّى في غاية التلاحم والانسجام بين مجموعة الروابط التي تتشكّل بين مستوى الجمل أو ما اصطلح عليه بالبنية الصغرى عند علماء اللغة، ومستوى العلاقات بين الجمل أو البنية الكبرى [21].

ولا شكّ أنّ علم اللغة من الدّين لأنّه من فروض الكفاية إذ به تعرف معاني القرآن الكريم، والثابت أيضا تفرّد القرآن بوضع اليد على مظاهر التماسك والانسجام في النص القرآني خاصة عندما يعتمد بيان القرآن بالقرآن كشرح مفردة بأخرى أو تركيب بآخر أو آية بأخرى، ولذلك قدّم المفسّرون قاعدة تفسير النص بالنص.

لقد جاء نظم القرآن الكريم مبنيا "**على وفرة الإفادة وتعدّد الدلالة**"[22]، فكان جامعا لأكثر ما يمكن أن تتحمّله اللغة العربية وفي نظم تراكيبها من المعاني في أقلّ ما يسمح به نظم تلك اللغة [23].

ومن قواعد الانسجام في النص القرآني إضافة إلى قاعدة التناسق البديع، وتفسير النص بالنص، قاعدة تناسب الأجزاء، وتتضمن هذه القاعدة كلّ الأبواب اللغوية من نحو وصرف وبلاغة ما دامت تهتم بالعلاقات المكوّنة لأجزاء النص، ومن مزايا قاعدة تناسب الأجزاء التي تقوم على القراءة النصية: تحاشي القراءة التجزيئية، مقدّمة بذلك القراءة الجامعة؛ تجتمع وتتكامل فيها الآيات والصور في جسد واحد، وتنظم فيها المعاني والدلالات والمقاصد في أصل واحد.

وهذا الجمع بين الأجزاء هو الذي سمّاه الإمام البقاعي بالأمر الكلّي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن ذلك أنّ أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، فالنص القرآني قطعة واحدة يكون فيها الكلام متسلسلا منسجما، سهلة ألفاظه، ذات سبك وعذوبة[24]، وقد أفاض علماء التفسير ومصنّفو علوم القرآن فيما يعرف بعلم المناسبات.

والنص القرآني نص متماسك تترابط ألفاظه ترابطا لغويا نحويا متينا وقد نتج عن هذا الترابط نظام ومعمار محكم لا يقبل التشظّي حتّى قالوا إنّ القرآن الكريم كلّه كالسورة الواحدة، يذكر الشيء في سورة ويأتي بالجواب في سورة أخرى[25]، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾(الحجر: 6)، والجواب في قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾(القلم: 2)، فألفاظ القرآن لا يمنعها اختلاف حروفها وتباين معانيها وتعدّد مواقعها من أن تكون جوهرا واحدا في الطبع والعقل وفي الماء والرونق.. حتى تمتزج بروحك وتخالط إحساسك [26].

كما أنّ فهم النص القرآني كلّه يحتاج إلى نظرية إدراكية لاستيعاب النص لفظا ومعنى لأنّه يتعلّق بقدرة مستخدم اللغة ومدى تحكّمه في العلاقات للربط بينها ربطا متماسكا، فقد يتمكّن المفسّر من حفظ الكلمات والجمل وإعادة إنتاجها كلّما كانت مترابطة نحويا ودلاليا، وقد يعجز ويجد في ذلك مشقّة إذا غاب الانسجام والترابط. إنّ هذه الرؤية الكلّية للقرآن الكريم لا تقف عند حدّ اللفظ وإنّما تتجاوز ذلك إلى فصاحته باعتباره النموذج الأعلى للفصاحة العربية، وتتجلّى هذه الأهمية بين القاعدة النحوية والبلاغية والنص القرآني[27]، لكنّ دور القاعدة النحوية والبلاغية لا ينتهي عند شكل الكلمة ودلالتها، وإنّما ينتقل إلى التركيب، تركيب الكلمة داخل الجملة، وما تؤدّيه من عمل في تجلية المعنى[28].

إنّ النسق القرآني في الألفاظ والمعاني معا لا انفصال بينهما، "**فألفاظ القرآن تنقاد لمعانيه، ومعانيه تنقاد لألفاظه، بحيث لا تتغلّب إحداهما على الأخرى**"[29]، فالنص القرآني منسجم كلّه رغم تعدّد موضوعات السورة الواحدة وأنّ كلّ آية مشدودة إلى أختها رغم تعدّد الموضوعات في السورة الواحدة.

وينهض الانسجام السائد في النص القرآني على مجموعة من الأسس الفكرية والفنّية نستشعر جماليتها من خلال العناصر التالية:

التخييل الحسي: فالخيال هو دعامة التصوير الفني الأولى، وخاصيته المميّزة، ولمّا كان الانسجام والتناسق قائما على التخييل الحسي، فإنّه قلّما تخلو سور القرآن الكريم من الحياة والحركية التخييلية، وهي حركة لا تظهر في معرض النص، أو عرض المشاهد المختلفة وإنّما تظهر في مواقع لا تتوقّع أن تظهر فيها.

إنّ النص القرآني حين يعتمد على مواد العالم المحسوس للوصول إلى الانسجام، والتناسق في بناء صوره لا يميل دائما إلى النقل الحرفي المباشر إنّما يضفي عليه فيضا من الصور المتحرّكة الحيّة لشدّ نفس الإنسان واستفزاز شعوره الجمالي، يتجلّى هذا التناسق من خلال التطوّر الدلالي للألفاظ في النص القرآني القائم على العلاقة بين اللفظ والمعنى من غير أن يطال هذه العلاقة فتور من حيث التأثير، فالأسلوب ليس سوى خصوصية تحدث في المعنى على نحو من الانزياح والعدول، ذلك أنّ اختيار المفردات هو ما يميّز اللفظة القرآنية إذ تظلّ مراعية لمقتضيات الحدث اللغوي، من خلال تحوّلاتها السياقية في إطار من الانسجام، فتتحلّى عباراتها بحلية جمالية، فلا يكون المعنى حينئذ مجانبا أو منعزلا عن السياق العام.

ومن مظاهر الانسجام القرآني توظيف التجسيم الفني الذي لا يراد به المعنى الديني: "**فلا تعرض الصور ساكنة صامتة إلاّ لغرض فنّي يقتضي ذلك، ولكنّها تعرض غالبا في حركية ظاهرة أو مضمرة تبثّ الحياة في شتّى الصور بواسطة التشخيص وغيره، وإلى جانبه**

ظاهرة تجسيم المعنويات المجرّدة لا على وجه التشبيه والتمثيل، بل إبرازها في صور محسوسة على وجه التصيير والتحويل"(30)، وفي القرآن الكريم مشاهد كثيرة تشتمل على التجسيم الفني- بالمعنى المذكور سابقا- الذي هو في حقيقته ألوان من الدلالات المختلفة للألفاظ والتراكيب عند اختلاف صيغها وأماكنها في سياق الجمل والآيات، قال تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا، وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾(مريم: 13-15)، فقد شخّصت هذه الآية البر الذي يزداد وينمو شأنه شأن الأشياء المادية، ولمّا كان الانسان مولعا بالزيادة جاءت السورة موافقة لميوله.

وقد بلغ التناسق في القرآن الكريم ذروته، بما حواه من خصائص مميّزة معجزة: "**فمن نظم فصيح، إلى سرد عذب، إلى معنى مترابط، إلى نسق متسلسل، إلى تعبير مصوّر، إلى موسيقى منغّمة، إلى اتساق في الأجزاء إلى تناسق في الإطار... إلى افتنان في الإخراج، وبهذا كلّه يتمّ الإبداع ويتحقّق الإعجاز**"(31)، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (يس: 77)، فالآية تتضمّن تصويرا لخلق الإنسان وذلك بالعودة إلى أصله، ثم ينتقل القرآن إلى الحاضر، أي يظهره في صورة مختلفة (خصيم مبين)ثمّ يترك المشهد للخيال فرصة ليقارن بين المرحلتين فإذا بذلك المخلوق الحقير لا يتواضع أمام الخالق ؛ إضافة إلى هذا التناسق في تعبير القرآن ونظمه، هناك تناسق آخر في ائتلاف نغمه وإيقاعه مع معانيه، كلّ ذلك في غاية التأثير وإثارة مكامن الحس، في المتلقي، ذلك أنّ ملكة تذوّق الموسيقى لم تخلق عبثا في البشر شأنها شأن الملكات الأخرى ترتبط بالوجدان، فيهتزّ الإنسان بالنغم ويتأثّر به(32).

ومن أسرار التناسق الفنّي في كتاب الله أنّ الكلمة فيها صوت النفس وخطوة المعنى، وهي من دواعي انبهار العرب بانسجام اللفظ مع الصوت الموسيقي المتسق مع جوّ الآية وجوّ السياق، فانتخاب القرآن لألفاظ يتخيّرها دون سواها يكسبها زخما لغويا ينحو منحى خاصا، فقد وضعت ألفاظ القرآن في التركيب الجملي بدقّة أو ما عبّر عنه عبد المالك مرتاض باللغة الأدبية(33)، ويبقى القرآن الكريم غنيا بجماليته الصوتية والتي تتمظهر في أشكال متنوّعة وهي من أهم الأدوات ذات التأثير المباشر في نفس المتلقّي ووجدانه، مع التأكيد على "**أنّ موسيقى النص في جملتها وتفصيلها أي: في نغمة الجمل، وجرس الألفاظ وفواصل الآيات، مناسبة للمشهد والأفكار، ومقابل لها وتتنوّع بتنوّعها وتنسجم بانسجامها**"(34)، كما أنّ قيمة المفردة القرآنية لا تتجلّى جماليتها عندما ترد مفردة فحسب، إنّما يتجلّى جمالها من خلال السياق الذي جاءت فيه، مع التأكيد على التوافق والانسجام، والتأليف بين أصوات الكلمات والمعاني الموضوعة لها.

ومن مظاهر التناسق والانسجام الفني في القرآن الكريم التجانس الصوتي الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالمعنى كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾(التكوير: 18/17)، فقد اشتملت الآيتان على صوت "العين" وهو صوت مجهور ناصع مع صوت "السين" وهو صوت مهموس يتميّز بالهدوء والسكينة ممّا يوحي بزيادة جمالية أكثر على هذه اللفظة.

ومن الأسرار الصوتية وتجلّياتها الجمالية التناسب بين الدلالات الصوتية والانتقالات التي ترافقها فالتنوع في النظم يتّصل ببنية الكلمة ودرجة تأثيرها وتفاعلها مع غيرها من الكلمات، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾(الروم: 55)؛ يشترك الجناسان في هذه الآية تجانسا دلاليا فالطرف الأول يدلّ على يوم القيامة وهي محدّدة ومعرّفة ومضبوطة، أمّا الطرف الثاني فجاء خاليا من التعريف للإشارة إلى قصر وقتها وسرعة وقائعها.

إنّ ظاهرة اختيار اللفظ المناسب للسياق في القرآن ظاهرة شائعة لا يمكن أن يحيط بها بحث مهما كان واسعا أو دقيقا إذ يمتاز النص القرآني بدقّة اختيار الألفاظ وإتقانها لتحقيق دقّة التعبير فضلا عن قوّة المعاني.

وهكذا جاءت مظاهر التناسق والانسجام في آيات القرآن الكريم من ناحية اللفظ والمعنى والسياق تبعا للوظيفة المبتغاة، فتأتي تارة صورة فنّية في أبهى حلّة، وتأتي لتؤدّي أثرا نفسيا أو لتؤدي محاورة فكرية، وجميع هذه المظاهر الدلالية والجمالية مجالها اللفظ خارج حدود استعمالاته الاعتيادية، دون الخروج إلى دلالات شاذّة في اللفظ والمعنى، بل تبقى دائما محافظة على ثرائها المعنوي في مواضع التركيب الجميلة للقرآن الكريم، لأنّه كان دقيقا في وضع الألفاظ بدلالاتها على المعاني والأخيلة قوّة وضعفا تبعا للتعابير التي ترد فيها وتبعا لمقصدياتها.

لقد كان النظم مخزونا جماليا لا ينفذ في استجلاء الدلالات القرآنية الأدبية، كما تميّزت المفردة القرآنية بتجاوز حدودها المعجمية، وقد تتجاوز أحيانا إيحاءاتها المعهودة معتمدة على التأثير النفسي، ومحافظة على تلازم الشكل والمضمون(35)، محدثة بذلك شدّا قويا بين النص القرآني والمتلقّي، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾(ابراهيم: 18)، فقد جعل القرآن الكريم من هذا المشهد تجسيدا لصورة فنّية متحرّكة لأعمال الذين كفروا بربّهم وعبدوا غيره للدلالة على أعمالهم سدىً. لقد صوّر القرآن الكريم الكافرين وما تؤول إليه أعمالهم في مواقع كثيرة ومواقف مختلفة بحشد من الصور الفنّية المتتابعة في مشهد متحرّك كما في قوله تعالى: ﴿أولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ، مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا

يَرْجِعُونَ، أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ، يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(البقرة: 16-20)، فهذا المشهد يقوم على ألفاظ تغيّرت دلالاتها واكتسبت معاني مختلفة تتماشى وفق ما يقتضيه السياق، إذ أطلقت صفة البيع والشراء في النص القرآني على ظاهرة معنوية تتصل بالإيمان بالله، فربط النص القرآني سلوك المنافقين بعملية البيع والشراء، وخل للمنافقين والكافرين أنّهم ربحوا في تجارتهم، ثمّ بيّن كم كانت هذه التجارة خاسرة، لأنّ المطلوب أن يربح الشخص جانب الهدي في حين أنّهم اشتروا الضلالة بالهدى وهو منتهى الخسارة[36].

والقرآن الكريم أحسن الحديث من حيث تناسب المعاني وتناسب المباني والأصوات، فهو حديث يروق الأسماع، ويبعث اللذة في النفوس وذلك لتناسب ألفاظه ومبانيه ومقاطعه وأصواته، يتجلّى التناسب المعنوي من خلال توافق المعاني في وحدة الصورة، كأن تكون الوحدة بين مطلع السورة وختامها، وقد يكون تناسب المعاني في آيات العقيدة أو في التعقيبات التي ترد في خواتم الآيات أو في أعقاب القصص القرآني.

أمّا التناسب اللفظي الإيقاعي فيظهر في قيمة التناسب بين أصوات القرآن وأثر ذلك في جمال الإيقاع وروعة القرآن وتأثيره في نفس المتلقّي، ومن التناسب اللفظي أيضا التوازن في النظم الصوتي وتناسب الفواصل، وهكذا يتجلّى التناسب البياني في القرآن الكريم القائم على الانسجام والتناسق العجيب، فقد تآلفت درره وتناسبت عناصره، فلا تفاوت ولا تنافر ولا تباين ولا اختلاف في شيء فيه، وهو انسجام في كلّ مركّباته[37].

والخلاصة من هذا أنّ القرآن الكريم اشتمل على كلّ ما هو مؤثّر جميل جذّاب بارع، يهزّ العواطف والوجدان وتتفاعل معه خوالج النفوس، ينعش العليل ويوقف الهاجع، ويفتح المغلق. كما أنّ "الاستعمال القرآني أظهر أنّ "الجميل" وصف لأمر معنوي معقول، وأنّ "الجمال" سعادة نفسية شعورية، أمّا "الحسن" فبيّن القرآن أنّها تطلق على الحسن المعنوي وبهذا لم يجد البلاغيون في الجمال إلاّ آثار القيمة كما أنّهم لم يجدوا في الجميل إلاّ جزءا، فقد وجدوا فيه ما يلبي رغباتهم الفنّية الحياتية[38].

لقد أسست المدرسة الأدبية للقرآن الكريم (ابن عباس- الزمخشري- محمد عبده -سيد قطب) لاتجاه ينهض أساسا على إبراز مظاهر الإعجاز في كتاب الله في ما له صلة بالمباني والمعاني، لأنّ كلام الله لا مثيل له في كلام البشر، ومن راوده شكّ في ذلك فليضع آية، أيّ آية شاء مكان آية أخرى فسيدرك الفرق في المعنى ويدرك أنّ الأسلوب القرآني خرج عن المعهود من كلام البشر، وقد أدرك الرافعي بذوقه الرفيع وحسّه البلاغي ذلك التناسب والانسجام

والتناسق عندما قرّر أنّ "في القرآن لفظة غريبة هي أغرب ما فيه وما حسنت في كلام قطّ إلاّ في موقعها منه وهي كلمة "ضيزى" في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾(النجم: 22)، ومع ذلك فإنّ حسنها في الكلام من أغرب الحسن وأعجبه ولو أدرت عليها اللغة ما صلح لهذا الموضع غيرها، لقد أدرك الرافعي أنّ غرابة هذه اللفظة من غرابة تلك القسمة الجائرة الظالمة أ التي تجعل الملائكة والأصنام التي يعبدونها بنات لله لذا يتشكّل في النفس عند نطقها إحساسا بثقله على اللسان ونفور النفوس منها وتتجلّى في هذه الآية دقّة النظام وجمالية الإيقاع وتناسق التعبير فلو قيل (ألكم الذكر وله الأنثى؟ تلك إذن قسمة ضيزى) لاختلّ الإيقاع، ولا يعني هذا أنّ لفظة "إذن" زائدة لمجرّد القافية بل هي ضرورية لتؤدّي معنى في السياق وتؤدّي تناسبا في الإيقاع(39).

وتعتبر النظرة الكلية الشاملة لبلاغة القرآن المفتاح الحاسم لدى التعامل مع أسراره، وهي لا تعدم أن تكون المنطلق الأساسي لفهمه وتدبّره ودراسته، والمحافظة على عوالم النص وتأمّل جملة العناصر والوحدات والنظم، والآليات يحتكم إليها تدبّر أسراره اللغوية والدلالية على السواء، ويحسن أداء ذلك مع ضرورة استحضار كلّ أجهزة وأدوات القراءة، وأعمال وأدوات الفهم المتجاوبة مع الشروط الحضارية والأخلاقية التي تحفظ للسر القرآني صرمديته الربانية.

التناسق الفني: هو من المكوّنات الفنّية الجمالية التي وقف عندها سيد قطب في تفسيره "الظلال" والذي لم تقتصر نظرته على النواحي الجزئية، فلم ينظر في الآية الواحدة كوحدة منفصلة يستجلي فيها مباحث في اللغة والبلاغة بل حاول الإلمام بخصائص الجمال القرآني العامة من خلال توظيف التصوير الفني، فالتناسق في التعبير عنده هو أن يهيّئ "**الأديب لحظة التعبير للألفاظ نظاما ونسقا وجوّا يسمح لها بأن تشعّ شحنتها من الصور والظلال والإيقاع، وأن تتناسق ظلالها وإيقاعها مع الجو الشعوري الذي تريد أن ترسمه وألاّ يقف بها عند الدلالة المعنوية الذهنية، وألاّ يقيم اختياره للألفاظ على هذا الأساس وحده**"(40).

يبدأ التناسق الفني عنده من هذا الكون البديع المنسجم الذي تدلّ آياته الصامتة المتأمّلة على دلالات اعتبارية جمّة، وقد سبق للجاحظ أن قال أنّ الصامت ناطق من جهة الدلالة"(41)، وأنّ من شأن هذا النظر أن يؤلّف من المقروء والمبصر، فكلاهما يهدي إلى الاعتبار عن طريق الاستدلال.

والتناسق درجات، بعض هذه الدرجات وردت في كتابات علماء اللغة والبلاغة وبعضها لم يحض بانتباه هؤلاء الباحثين فكانت من أولويات سيد قطب التي أثارت اهتماماته في بلاغة القرآن.

ولعلّ من أهمّ ألوان التناسق التي أثارت اهتمامات الباحثين في جمالية التعبير القرآني فكرة الانسجام في تأليف العبارات بتخيّر الألفاظ ثمّ نظمها في نسق ينسجم وفق صيرورة تعبيرية خاصة ذات مقصدية محدّدة تساعد على تحديد معالم الصورة حسّية كانت أو معنوية، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾(الأنفال: 22)؛ نجد لفظ **"الدواب"** ذا دلالة خاصة منسجمة مع حال الكفار، ومن هنا جاء ذكر الدواب في موضعه المناسب، ولفظ الدواب يشمل الناس فيما يشمل، ويخلع على الصم البكم الذين لا يعقلون صورة البهيمية في الحس والخيال.. إلاّ أنّ البهائم مهتدية بفطرتها فيما يتعلّق بشؤون حياتها الضرورية، أمّا هؤلاء الدواب (الكفار) فهم موكولون إلى إدراكهم الذي لا ينتفعون به، فهم شرّ الدواب قطعا[42]، وهكذا تبدو الصورة في غاية التناسق والانسجام من التعبير والتصوير، وعلى هذا المنوال تتبّع الباحثون هذه الألوان في كثير من آي الذكر الحكيم مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾(محمد: 12)، فلفظتا"يتمتعون" و"يأكلون" في غاية الانسجام والتناسق مع الحال المقصودة بالصورة، وهي حال الغفلة، وهو تصوير زري يذهب بكلّ سمات الإنسان ومعالمه ويلقي ظلال الأكل الحيواني الشره والمتاع الحيواني الغليظ.. إنّ للإنسان إرادة وهدفا، فإذا فقد كلّ هذا فقد أهمّ خصائص الإنسان.

ولا يقف التناسق الفني عند اتساق التعبير مع المضمون إنّما يتعدّى ذلك إلى تناسق الإيقاع الموسيقي الحاضر في كلّ الفنون يكسبها المتعة والجمالية.

وقد أشار سيد قطب إلى تناسق واتزان الإيقاع الموسيقي في القرآن الكريم بقوله: "**إنّ في القرآن إيقاعا موسيقيا متعدّد الأنواع يتناسق مع الجوّ ويؤدّي وظيفة أساسية في البيان**"[43]، ويكون هذا الإيقاع ناتجا في الغالب عن فواصل متساوية تشعّ نظما خاصا في كلّ موضع، ذات جرس موسيقي يقصر ويطول تبعا للفواصل، ويكون اختيار الألفاظ تبعا لهذا الإيقاع. وتؤدّي الفواصل دورا بالغا في تمييز نظم القرآن عمّا سواه، فهي تؤثّر على المضمون بدلالاتها وعلى الإيقاع بمقاطعها، ويتمّ بها المعنى، وتستريح بها النفس؛ وقد تكون الفواصل ذات إيقاع موسيقي متّحد كما في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(النجم: 1-4)، فالفواصل متماثلة، و"**فواصل متساوية في الوزن تقريبا على نظام غير نظام الشعر العربي متحدة في صرف التقفية تماما**"[44]، فهذه السورة في عمومها عنده كأنّها منظومة موسيقية علوية منغّمة، يسري التنغيم في بنائها اللفظي كما يسري في إيقاع فواصلها الموزونة المقفاة، ويلحظ هذا التنغيم في السورة بصفة عامة، ويبدو القصد فيه واضحا في بعض المواقع، وقد زيدت لفظة أو اختيرت قافية لتضمن سلامة النظم

ودقّة إيقاعه إلى جانب المعنى المقصود والذي يؤدى في السياق كما في عادة التعبير القرآني مثل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾(النجم: 19-20)؛ فلو قال: ومناة الأخرى ينكسر الوزن، ولو قال: ومناة الثالثة فقد يتعطّل إيقاع القافية، فلكلّ كلمة قيمتها في معنى العبارة، ولكن مراعاة الوزن والقافية كذلك ملحوظة، ومنها كلمة "إذن" في وزن الآيتين بعدها "ألكم الذكر وله الأنثى؟ تلك إذن قسمة ضيزى". فكلمة "إذن" ضرورية للوزن وإن كانت مع هذا تؤذي غرضا فنّيا في العبارة ؛ ولا يعني هذا أنّ كلمة "الأخرى" وكلمة "ضيزى" زائدتان لمجرّد القافية أو الوزن، ولكنهما ضروريتان في السياق لنكت معنوية خاصة، وتلك ميزة فنّية أخرى[45]، فالكلمتان وردتا في السياق لتؤّديا تناسبا في الإيقاع في نفس الوقت.

وهناك تناغم في الآيات والفواصل قريب من النوع الأوّل وهو "**أن يعدل في التعبير عن الصورة القياسية للكلم إلى صورة خاصّة أو أن يبني النسق على نحو يختلّ إذا قدّمت أو أخّرت فيه أو عدلت في النظم أيّ تعديل**"[46]، أي من خلال عدم مراعاة الإيقاع الموسيقي للآيات، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ، أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾(الشعراء: 75-82)؛ فقد حذفت ياء المتكلّم في (يهديني، ويسقيني، ويشفيني، ويحييني) حفاظا على القافية مع (تعبدون، والأقدمون، والدين)، وإن كان التماثل في الفواصل ظاهرة عامة في النص القرآني، فإنّ ثمّة آيات تتقارب فيها مقاطع الفواصل تقاربا يحدث الإيقاع والرنين الصوتي، وذلك دون أن تتحد الفواصل في حرف واحد وإن لم تخل من الوزن الجامع للفواصل، كما في قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ، أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ، قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ، بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾(ق: 1-5) ؛فهذه الآيات هي الآيات الأولى من سورة "ق" وهي سورة غنيّة بإيقاعها وبنائها التعبيري الذي يأخذ بجوانب النفس ودخائلها، وللفواصل فيها جرس صوتي أخّاذ يتلاحق موجة إثر موجة ونغمة إثر نغمة، متراوحا بين حروف الدال والباء-وهما الأكثر ورودا - والجيم ثمّ الراء؛ هذا الإيقاع المتميّز في الأسلوب القرآني مبعثه إذن انسجام كامل بين النغمات والمفردات والمعاني، وبذلك ينفذ ويتغلغل إلى أعماق القلوب.

وهذا ما يؤكّد ويدلّل على أن السياق بما هو مشتمل عليه من الوازع التوقيعي، يؤدّي وظيفة حاسمة في تغيّر الفواصل والقوافي والإيقاع في الذكر الحكيم واحتساب تحيين أوانها وفي ذلك يقول سيد قطب: "**فأمّا تنوّع أسلوب الموسيقى وإيقاعها بتنوّع الأجواء التي تنطلق فيها فلدينا ما نعتمد عليه في الجزم بأنّه يتبع نظاما خاصا وينسجم مع الجوّ العام باطراد لا**

يستثنى"[47]، وسورة "النازعات" دليل على ذلك حيث يسود أسلوبان موسيقيان وإيقاعان منسجمان مع جوّين فيهما تمام الانسجام لأنّه يسوقه في إيقاع موسيقي راجف لاهث كأنّما تنقطع به الأنفاس من الذعر والارتجاف والمفاجأة قال تعالى: ﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا، فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا، يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ، أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ**﴾(النازعات: 1-9)، من هذا الجو الراجف الواجف، المبهور المذعور، يأخذ في عرض مصرع من مصارع المكذّبين، فيهدأ الإيقاع الموسيقي ويسترخي نوعا ما ليناسب جوّ الحكاية والعرض"[48].

جرس الألفاظ: ومن مظاهر التناسق الفني **جرس الألفاظ** الذي يؤلّف إيقاعا يتناسب مع جو المشهد، لأن الموسيقى للمشهد تكمّل هذا الجو، وتشترك مع الألفاظ في تصوير الغرض العام، فتنسجم وتتسق الألفاظ والمعاني، والإيقاع مع السياق العام للصورة والآية، ففي سورة "**المسد**" مثلا تتناسق الألفاظ وتتسق في السورة يصحبها تناسق نفسي جليّ لدى المتلقي، فجهنّم ذات لهب، يصلاها أبو لهب، وامرأته حمّلة الحطب تلقيه في طريق محمد لإيذائه والحطب ممّا يوقد اللهب وهي تحزم الحطب بحبل فعذابها في النار ذات اللهب أن تغلّ بحبل من مسد ليتم الجزاء من جنس العمل، وتتمّ السورة بمحتوياتها الساذجة: الحطب، الحبل، النار، واللهب، يصلى بها أبو لهب وامرأته حمالة الحطب.

وقد سعى بعض العلماء وفي مقدّمتهم سيد قطب إلى إثبات دور الإيقاع في أسلوب النص القرآني، فهو عنده "النقطة التي تلتقي عندها المتناقضات ويمتد عندها الشكل والمضمون، ويصبح اللامحدود عندها محدودا دون أن يفقد لا محدوديته، فالسكون الظاهري قد يكتسب من خلال طريقة تأليفه واتساقه شاعرية، وتضفي عليه حركة داخل ذلك السكون يكون جوهر الجمال الحقيقي"[49]، كما يعتبر الإيقاع أداة هامة تكشف، عن الآفاق الكامنة وراءه، فالتعبير القرآني ينحو مناح متنوّعة من تعابير تركيبية، صوتية وخيالية تصويرية، ودلالية إيحائية، وهذه المناحي المتنوعة هي التي أوجدت هذا الانسجام والتلاؤم والتناغم الذي ينفرد به الخطاب القرآني.

فالقرآن الكريم عنده يرسم صورا ويعرض مشاهد، يتوافر لها أدقّ مظاهر التناسق الفنّي: جو المشهد، وتقسيم الأجزاء، وتوزيعها في الرقعة المعروضة[50]، فالنص القرآني بطبيعة الحال ينزاح في كثير من تعابيره، وأساليبه، عن التعبير العادي، المألوف، فيكسب المادة اللغوية حيوية تخرج بالمعاني من رتابة البناء النحوي والدلالي إلى حركية وحيوية اللغة العربية، وما تتضمنه من شحنة دلالية.

ويعتبر التصوير عنصرا أساسيا في أسلوب القرآن الكريم، يحدّد طبيعة المشاهد في السياق، ومن نماذج ذلك سياقان بمكن الاستشهاد بهما للتدليل على الانسجام في رسم الصورة القرآنية من خلال وحدة رسمها وتوزيع أجزائها وألوان الظلال المتّسقة مع الجو العام، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾(الحج: 5)، فكلمة "هامدة" وردت في هذا السياق ووردت في سياق آخر مختلف ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ. فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ. وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(فصلت: 55)، ومن خلال الموازنة بين السياقين بين(هامدة وخاشعة)، يتبيّن أن الجو في السياق الأوّل هو بعث وإحياء وإخراج ممّا يتناسب مع الأرض وهي تهتزّ وتربو، وتنبت من كلّ زوج بهيج، وبين الجو في السياق الثاني الذي هو جوّ عبادة وخشوع، والذي يتّسع معه اهتزاز الأرض عندما ينزل عليها الماء، فأجزاء الصورة الأولى هي مخلوقات حيّة (نطفة تخرج من مراحلها المعروفة، ونبتة تصير زوجا بهيجا، وهي تراب ميّت ترج منه تلك النطفة، وارض هامدة تخرج منها هذه النبتة، وجو السورة العام الإحياء المرتسم من هذه الأجزاء، أما الصورة الثانية فهي مخلوفات طبيعية عابدة أو مشاهد طبيعية، والأجزاء هي الليل والنهار والشمس والقمر والأرض خاشعة لله، وجو السورة العام العبادة.

ونظرا لتعدّد وتنوّع أفاق التناسق الفني واتسع مداها ليشمل الصورة الفنّية من جوانب مختلفة، حاول بعض العلماء استجلاء هذه الآفاق انطلاقا من النص القرآني برؤية شاملة، وآخر هذه الآفاق التناسق في مدّة العرض "**فالتصوير القرآني حين ينتهي من تناسق الألوان والأجزاء في الصورة أو المشهد.. لا ينتهي عند هذه الآفاق في تناسق الإخراج، إنّ هناك خطوة وراء هذا كلّه.. تلك هي المدّة المقرّرة لبقاء المشهد معروضا على الأنظار في الخيال**"[(51)]؛ فالمشاهد في القرآن الكريم تعرض منسجمة متكاملة خلال مدّة العرض، وقد يطول هذا المشهد أو يقصر، وبعض هذه المشاهد حيوي، كثير الحركة، وبعضها الآخر شاخص، وكلّ هذا التناسق يتم مع الغرض العام للقرآن الكريم.

لكن التعبير القرآني يتخيّر لهذه المشاهد متى تكون الحركة والنشاط، ومتى يطول المشهد ومتى يقصر وهكذا، ويتخذ هذا التناسق أحيانا أشكالا أخرى كالتكرار والحذف.

ويمكن تلخيص آراء أغلب العلماء في بيان أهمية الانسجام النصي في القرآن الكريم ومظاهره بما خلص إليه سيد قطب وهو يفسّر الذكر الحكيم محاولا فك شفرات الصورة وعلاماتها، ومحاولا النفاذ إلى أعماق هذه الصورة لاكتشاف جماليات النظم وذلك في قوله: "**في القرآن الكريم أفاق وراء آفاق من التناسق والاتساق، فمن نظم فصيح، إلى سرد عذب، إلى معنى مترابط، إلى لفظ معبّر، إلى تعبير مصوّر، إلى تصوير مشخّص، إلى تخييل مجسّم، إلى موسيقى منغّمة، إلى اتساق في الأجزاء إلى تناسق في الإطار، إلى افتنان في الإخراج، وبهذا كلّه يتم الإبداع ويتحقّق الإعجاز**"[52].

مراجع البحث وإحالاته:

01 - لسان العرب، ابن منظور، تح. يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، مج. 2، مادة: سجم، ص: 103.

02 - الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث القاهرة، ج3، ص: 259.

03 - لسانيات النص، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2006، ص: 56.

04 - نقلا عن: روافد من نهر الإعجاز البلاغي، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط. 1 2010، ص: 9.

05 - البرهان في علوم القرآن للزركشي، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، دار صيدا بيروت د.ط، ج2، ص: 206

06 - القرم مفرد جمعه قروم وهو الفحل من الإبل

07 - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، 2000 ص: 39.

08 - ينظر: إعجاز القرآن، للباقلاني، مقدّمة للأستاذ عبد المنعم خفّاجي، ص: 19

09 - بيان إعجاز القرآن، أحمد بن محمد الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح. محمد زغلول سلام، محمد خلف الله، دار المعارف القاهرة، ط3، دت، ص: 27.

10 - ينظر: أهمّية التفكير اللغوي عند العرب، حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1994، ص:31

11 - دلائل الإعجاز، للجرجاني، ص: 56

12 - أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني، ت. محمد فضلي المكتبة العصرية صيدا بيروت، 2003، ص: 40.

13 - دلائل الإعجاز، ص: 56.

14 - المصدر نفسه، ص: 56.

15 - ينظر: أسرار ترتيب سور القرآن، جلال الدين السيوطي، تح. رضا فرح الهوماني المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 2003 ص: 12.

16 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، تح عبد الرزاق غالب، دار الكتب العلمية بيروت، 1995، ج. 2، ص: 185.

17 - المصدر السابق، ج2، ص: 185.

18 - ينظر: الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار مصر للطباعة، د. ط. ، د. ت. ، ص: 452.

19 - النص والخطاب: قراءة في علوم القرآن، محمد عبد الباسط عيد، مكتبة الآداب، ط1، 2009، ص: 42.

20 - ينظر تحليل الخطاب، ج. ب. براون، وج. بول، تر. محمد لطفي الزليطي، ومنير التريكي، الرياض، منشورات جامعة الملك سعود، 1997د. ط، ص: 234.

21 - ينظر: تحليل الخطاب، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط. 2، 1993، ص: 19 وما بعدها، وينظر: الكتابة ومفهوم النص، عبد المالك مرتاض، مجلة اللغة والأدب، عدد8، الجزائر 1996، ص: 11.

22 - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ط2 /المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984، ج1، ص: 110.

23 - ينظر المرجع نفسه، ج1، ص: 98.

24 - ينظر: **مقدمة** كتاب "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، برهان الدين البقاعي، تح، عبد الرزاق غالب، دار الكتب العلمية، بيروت (ينظر المقدمة)

25 - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تح عبد اللطيف محمد الخطيب، نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، السلسلة التراثية، الكويت2000، ط1، ج3، ص: 338.

26 - ينظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1973، ط9، ص: 198.

27 - ينظر: الزمن في القرآن الكريم: دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه، بكري عبد الكريم، دار الفجر القاهرة، 1997، ط1، ص: 8.

28 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 8.

29 - نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، سامي محمد هشام حرير، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان الأردن، ط1، 2006، ص: 89.

30 - القراءة الأدبية للقرآن في ضوء المنهج التاريخي، الحسن بوتبيا، المطبعة والوراقة الوطنية بمراكش، المغربط1، 2010، ص: 76.

31 - التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق القاهرة، مصر، 1983، ط8، ص: 142.

32 - ينظر: الوحدة الفنية في القصة القرآنية، محمد الدالي، موي للطباعة والتجليد، ط1، 1993، ص: 220.

33 - ينظر: في نظرية النقد، عبد المالك مرتاض، دار هومة الجزائر2002، ص: 176.

34 - دراسة أدبية لنصوص من القرآن الكريم، محمد المبارك، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ص: 21.

35 - ينظر: جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، سوريا 1991، ط2، ص: 34 وما بعدها

36 - ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ج1، ص: 45.

37 - ينظر: الوحدة البنائية للقرآن الكريم، طه جابر العلواني، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ط1، 2006، ص: 52 وما بعدها

38 - ينظر: مقدّمة في أصول النقد، شكري محمد عياد، دار الياس المصرية القاهرة 1987، ص: 69.

39 - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص: 188.

40 - النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق القاهرة، مصر 2003، ط8، ص: 45.

41 - البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1989، ط7، ج1، ص: 59

42 - ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، مج3، ج9، ص: 1493.

43 - التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص: 101 - 102.

44 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 103 - 104

45 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 104.

46 - في ظلال القرآن، سيد قطب، مج6 ج30، ص: 3811.

47 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 104 - 105.

48 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 110.

49 - في ظلال القرآن، سيد قطب، مج6 ج30، ص: 3811.

50 - الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي، ابتسام أحمد حمدان، دار القلم العربي، ط1، 1997، ص: 20.

51 - ينظر: التصوير الفني، سيد قطب، ص: 114.

52 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 128.